أثبت لنفسه تواضعا فإنه المتكبر. ليس المتواضع الذي إذا
تواضع رأى أنه فوق ما صنع. ولكن المتواضع الذي إذا تواضع
رأى أنه دون ما صنع. التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن
شهود عظمته. وتجلي صفته. لا يخرجك عن الوصف إلا شهود
الوصف. المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى أن يكون لنفسه
شاكرا. وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا. ليس المحب
الذي يرجو من محبوبه عوضا. أو يطلب منه غرضا. فإن المحب
من يبذل لك. ليس المحب من تبذل له. لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السائرين. لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك. ولا قطعة
بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك. جعلك في العالم المتوسط بين ملكه
وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته. وأنك جوهرة تنطوي
عليك أصداف مكوناته. وسعك الكون من حيث جسمانيتك. ولم
يسعك من حيث ثبوت روحانيتك. الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين
الغيوب مسجون بمحيطاته. ومحصور في هيكل ذاته. أنت مع الأ
كوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك. لا يلزم
من ثبوت الخصوصية. عدم وصف البشرية. إنما مثل الخصوصية
كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه. تارة تشرق
شموس أوصافه على ليل وجودك. وتارة يقبض ذلك عنك فيردك

٦٩

إلى حدودك. فالنهار ليس منك إليك. ولكنه وارد عليك. دل بوجود
آثاره. على وجود أسمائه. وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه.
وبوجود أوصافه على وجود ذاته. إذ محال أن يقوم الوصف
بنفسه. فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته. ثم يردهم إلى
شهود صفاته. ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه. ثم يردهم إلى شهود
آثاره. والسالكون على عكس هذا. فنهاية السالكين بداية المجذوبين
. وبداية السالكين نهاية المجذوبين. لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا
في الطريق هذا في ترقيه. وهذا في تدليه. لا يعلم قدر أنوار القلوب
والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة
الملك. وجدان ثمرات الطاعات عاجلا. بشائر العاملين بوجود
الجزاء عليها آجلا. كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به
عليك. أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك. قوم تسبق
أنوارهم أذكارهم. وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم. ذاكر ذكر
ليستنير قلبه. وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا. ما كان ظاهر ذكر
إلا عن باطن شهود وفكر. أشهدك من قبل أن استشهدك. فنطقت
بالإلهية الظواهر. وتحققت بأحديته القلوب والسرائر.
أكرمك كرامات ثلاثا. جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا
لجريان ذكره عليك. وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك.

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1